الفصل السابع

مشكلات اللغة والتواصل ..عند أطفال التوحُّد

✍ سوف نتعرَّف في هذا الفصل من الكتاب علي أنسب الطرق الممكنة لفهم وعلاج مشكلات اللُّغة والتواصل للأطفال التوحُّديين (الذاتويين):

● **المسح الدماغي:**

حدَّد العلماء الاضطرابات في نظام عمل أجزاء الدماغ المرتبطة باللُّغة لدي الأشخاص المُصابين بالتوحُّد علي هذا النحو، يبدأ التوحُّد الذي يؤدي إلي تعطيل قدرة الإنسان علي التواصل وتشكيل العلاقات مع الآخرين في سنوات العُمُر الأوَّلي٠كما يمكن أن يؤثّر التوحُّد علي القدرة علي التجاوب مع المناظر، والأصوات، واللمس٠وبالرغم من أنَّ بعض الأطفال المُصابين لديهم إعاقة عقليَّة إلاَّ أنَّ الثلث منهم أدمغتهم تعمل بشكلٍ فعَّال، أي أنَّ لديهم مستوي ذكاء طبيعي أو قريب من الطبيعي٠

وقد أظهرت دراسات بأنَّ الأشخاص التوحُّديين عادةً ما يكون لديهم أدمغة أكبر من الحجم الطبيعي، ولكن الدراسات السَّابقة لم تركز علي أجزاء الدماغ المرتبطة باللُّغة تحديداً٠وعلي الرغم من أنَّه من الطبيعي أن يكون قسم من الدماغ أكبر في طرف منه من الطرف الآخر (أي أنَّه غير متناظر) فإنَّ الشذوذ في عدم التناظر ارتبط بمشاكل لُغوية وفق ما أشارت إليه

الدكتورة «هربرت» في مُقابلة أُجريت معها من قِبل وكالة «رويتر هيلث»٠ وعلي أيَّة حال، لم يُدرس عدم التناظر في القشرة المخية Erebal Cortex والذي له ارتباط باللُّغة في التوحُّد٠

وقد أوضحت دراسة «هربرت» أنَّ هناك تغيُّرات غير طبيعية في عدم التناظر في أدمغة الأطفال التوحُّديين الذين أُجريت عليهم الدراسة ٠وفي طبقة القشرة المخية الخارجيَّة المتعلقة باللُّغة، وجد بأن عدم التناظر كان معكوساً (Reversed) لدي الأطفال التوحُّديين، وانعكس عدم التناظر هذا إلي حدّ أقلّ في الأجزاء الأخرى من الدماغ أيضاً٠

● أهم المشكلات اللُّغويَّة عند أطفال التوحُّد:

أولاً: مشكلات التعبير اللُّغوي:

(أ) التعارُّض بين استخدام اللُّغة وفهمها :

غالبية الأفراد العاديين ــ عادةً ــ ما يمتلكون مفردات لُغوية عند مستوي مُعيَّن، تُمكّنهم من بناء جمل تعبيرية بشكلٍ جيدٍ٠ أمَّا في حالات التوحُّد نجد بعض هؤلاء الأفراد يمتلكون لُغة ظاهرية منطوقة، إلاَّ أنَّ لديهم ــ غالباً ــ مشكلات إنشائية تعبيرية عميقة.

أيضـاً فـإنَّ ذوي التوحُّـد يمكـن أن يتطـوَّر فهمهـم للكلمـات الشـخصيَّة بشـكلٍ أفضـل مُقارنـة بقدرتهـم علـي فـك شـفرة تراكيـب لُغويـة، ومفاهيـم مُعقَّـدة، وبسـبب هـذا الأسـلوب غيـر الثنائـي للتوظيـف اللُّغـوي يصبـح مـن الصَّعـب علـي الأفـراد الآخريـن التعامُّل مـع ذوي التوحُّـد بسـبب فهمهـم الضيـق لمعنـي الكلمـات والألفـاظ المُسـتخدمة في اللُّغة٠أيضـاً فـإنَّ فشـل الأفـراد ذوي التوحُّـد في الاسـتجابة بشـكلٍ صحيـح للتعليمـات الموجهـة إليهـم يمكـن أن تُفسَّـر بشـكلٍ خاطـئ علـي أنَّهـم غيـر متعاونـين، أو يسـلكون بأسـلوبٍ فـظ، أو أنَّهـم أغبيـاء٠كمـا لوحـظ أيضـاً أنَّ الأطفـال مـن ذوي التوحُّـد يُعانـون مـن مشـكلات في كتابـة موضوعـات الإنشـاء٠

(ب) الحرفية في التفسير:

ثمَّـة صعوبـة تظهـر مرتبطـة بالإنشـاء الضعيـف، والتعبيـر اللُّغـوي المضطـرب، والتـي تسـتمر في خلـق العديـد مـن المشـكلات في فتـرة البلـوغ وهـو الميـل لتفسـير مـا يُقـال لهـم حرفيـاً، تلـك الاسـتجابات الناتجـة عـن الفهـم والتفسـير الحُـرّفي للغـة، والتـي تجعـل هـؤلاء الأشـخاص يواجهـون مشـكلات اجتماعيَّـة عميقة عند تعاملهـم مـع الآخريـن، مثـال: سـألت المُعلّمـة الطفـل «وسـيم»، قائلـةً: «متـى ولـدت؟ ومتـى تحتفـل بعيـد ميـلادك؟». فكانـت اسـتجابته، أنْ نظـر إليهـا بنـوعٍ مـن الاسـتنكار، وأجـاب بلـومٍ شـديدٍ: «في كُلّ عـام بالطبـع» !!

ثانيًا: مشكلات مُتعلّقة باللُّغة المنطوقة:

(أ) الاضطرابات في دلالات الألفاظ والكلمات:

حيث نجد أنَّ معاني مفردات الكلمات لدي الأفراد ذوي التوحُّد تستمر لتكون في نطاق محدود جدًّا، إذ يتصف هؤلاء بالقصور في فهم كثير من المفاهيم أو معاني الكلمات التي يتلقونها من الآخرين٠ولديهم أيضاً قصور في تعميم المفاهيم؛ وبالتالي فهم يُعانون من انخفاض في قدراتهم التعبيرية٠

(ب) طريقة استخدام الكلمات:

يغلب علي أطفال التوحُّد الاستخدام المضطرب للكلمات، أو الطريقة غير المناسبة في التحدُّث٠كما يوصف بعض هؤلاء الأطفال بأنَّ لديهم حصيلة جيدة من المفردات اللُّغويَّة، إلاَّ أنَّ هذه الحصيلة تزيد من صعوبة المشكلة لديهم خاصَّة عند اختلاطهم بأفراد المجتمع؛ لأنَّه بسبب الاستخدام غير المناسب لتلك المفردات في الوقت المناسب لها، فإن هذا يؤدي إلي تعقُّد الموقف الاجتماعي٠

(ج) ترديد الكلام (الحديث):

الدراسات التي أجراها «ريدل» Rydell عام ١٩٩٥، و«ميرندا» Miranda عام ١٩٩٤، أوضحت أن تكرار وترديد

الكلام لدي أطفال التوحُّد ـــ الأكبر في العُمُر الزمني، والأقلّ في الاضطرابات السلوكية ـــ يُشير إلي رغبة هؤلاء في توضيح متطلباتهم، أو التعبير عن أنفسهم في وقتٍ مُعيَّن، إلاَّ أنَّه يُشير في نفس الوقت إلي انخفاض القدرات التعبيريَّة أو الإنشائية لدي هؤلاء، وإن كان يُشير إلي رغبتهم في التواصل مع المُحيطين بهم٠ويظهر ترديد الكلام عندما يكون هؤلاء الأطفال تحت ضغط مُعيَّن، أو تشويق، أو في مواقف عالية التناقض.

(د) استخدام تكرار أو ترديد الكلام:

إنَّ ظهور هذا الأسلوب من الحديث يمكن أن يؤدي إلي مشكلات يجب أخذها بعين الاعتبار، إذ أنَّه يعمل علي تعطيل وإعاقة التواصل الاجتماعي العادي. والأطفال ذو التوحُّد، وعلي وجه الخصوص ذو الكفاءات والقدرات اللُّغويَّة المنخفضة، يُظهرون مستويات مرتفعة من ترديد الكلام في المواقف التي يشعرون فيها بعدم الأمان، أو الإثارة، وكذلك عند تعرضهم إلي تغيُّرات مفاجئة٠

ثالثًا: مشكلات التعامُل مع المفاهيم المعنوية:

(أ) التحدُّث عن المستقبل:

المفاهيم المعنوية أو الافتراضية غالباً ما تمثّل مصدر صعوبة كبري للأطفال من ذوي التوحُّد، فمثلاً، الإجابة علي

الأسئلة باستخدام بعض الكلمات مثل: قريباً،أو من الممكن، أو سأفكر في هذا، يمكن أن يؤدي إلي استثارة هائلة لغضب هؤلاء الأطفال؛ لأنَّه ليست لديهم القدرة علي استيعاب مفهوم هذه الاستجابات أو الكلمات٠

(ب) التعبير عن المشاعر والأحاسيس:

يُشير «بيرس دورف» Biers Dorff في دراسة له العام١٩٩٤، إلي أنَّ عدداً من الأطفال ذوي التوحُّد كانوا مُصابين بأمراضٍ في الأسنان، والمعدة لم يكن لديهم القدرة علي توضيح أنَّهم يشعرون بآلامٍ مُعيَّنة؛ نتيجة الحساسية الضعيفة للألم٠أيضاً فإنَّ الاضطرابات العاطفيَّة أو النفسيَّة من الممكن أن تكون أكثر صعوبة في الاكتشاف، فضلاً عن اضطرابات اللُّغة المنطوقة، واضطرابات التعبير اللُّغوي تزيد جميعها من حِدة صعوبة التحدُّث عن المشاعر٠

(ج) حس الدُعابة:

من المثير للدهشة أنْ يغلب علي أسلوب أطفال التوحُّد، ولغتهم، وتفكيرهم روح الدُعابة التي يستمتعون بها هم أنفسهم٠«فان بورجوندين» Van Bourgondien قام في العام١٩٨٧ بدراسة الاستجابات للدُعابة عند أفراد التوحُّد البالغين، وقد توصلت الدراسة إلي أن المُعدل الحالي من الألغاز أو الألعاب

الفكاهية البسيطة تؤدي إلي متعة حقيقية بالنسبة لكُلّ الأفراد ذوي التوحُّد، وبناءً عليه يمكن استخدام هذه الأساليب كمدخل له تأثير فعَّال في تشجيع التدخُّلات العلاجيَّة الإيجابيَّة ذات المغزى الاجتماعي.

إلاَّ أنَّه في بعض الأحيان يُعد الميل إلي الدُعابة لدي هؤلاء الأطفال مصدراً لظهور بعض الصعوبات في التفاعُّل الاجتماعي خاصة إذا كانت تلك السلوكيات الصادرة عن هؤلاء غير ملائمة اجتماعيًّا، أو كثيرة التردُّد والتكرار؛ فإنَّها تصبح مصدراً للإزعاج بالنسبة للآخرين.

(د) النقص في القدرة علي تبادلية الحديث:

بمعني فشل أطفال التوحُّد في الربط والتنسيق بين الحديث الصادر عنهم، وسماع آراء الآخرين.وتظهر تلك المشكلة في الأسلوب غير المناسب في تبادُّل الحديث مع الآخرين، وتزداد في الحِدة مع تطوُّر العُمُر الزمني للأفراد من ذوي التوحُّد.

وهؤلاء أيضاً غير قادرين علي الدخول في الحديث المرتب رغم أنَّ هذا مهم للغاية بالنسبة للاختلاط والتفاعُّل الاجتماعي الجيد، وغالباً ما يؤدي أسلوبهم هذا في الحوار إلي نقص في الاهتمام من جانب الطرف الآخر الموجود معهم.

كما أنَّ أسلوبهم هذا (عدم التوقف عن الحديث في الوقت المناسب) يؤدي بهم لأن يكونوا غير واعين بالتلميحات التي توضح أنَّهم أصبحوا مملين، وأنَّهم يعطلون النقاش المفتوح أو القائم.

● أهم الحلول المطروحة للتغلُّب علي مشكلات اللُّغة:

أوَّلاً: العمل علي زيادة الفهم، وتقليل التعبير اللفظي غير الملائم:

لابدّ أن يعتمد هذا البرنامج علي خطة تطورية تعتمد علي فهم الأسباب المؤدية للسلوكيات المستهدفة، ومعرفة الأساليب التي يمكن أن نتعامل بها مع الفرد من أجل تعديل تلك السلوكيات المستهدفة، وهنا يمكن القول إنَّ الكثير من مشكلات التواصل التي تناولناها فيما سبق، لابدّ من مواجهتها من خلال هذه الأساليب التي تُساعد أطفال التوحُّد علي زيادة فهم ما يدور حولهم، وخفض الحديث غير الملائم الصادر عنهم، وبالتالي نُساعد هؤلاء الأطفال علي تعديل بعض جوانب الاضطرابات في التواصل اللفظي، واللُّغة المنطوقة، كالتالي:

(أ) تعديل أسلوب التواصل الذي يقوم به الآخرون مع أطفال التوحُّد:

إذا حدثت استجابة غير ملائمة للموقف عند اقتراح أنشطة، أو أحداث جديدة غير مألوفة بالنسبة لأطفال التوحُّد، فإن هذا يعني أن الرسالة المقصودة لم تصل إليهم، أو حدث

بها سوء فهم بشكلٍ ما، أو أنَّها تحتاج إلي إعادة توضيح بشكلٍ مختلف٠ وعليه يكون تعديل استجابات أطفال التوحُّد تجاه الموقف عن طريق إعادة صياغة ما قيل من إرشادات وتعليمات بصورةٍ أبسط، تُساعد علي فهم أوضح٠

(ب) العمل علي رفع مستوي التأكُّد لدي أطفال التوحُّد:

يُشير «ماك دوف» Mac. Duff في دراسةٍ أجراها العام١٩٩٣ إلي أن تقديم المعلومات في صورة مرئية تكون أكثر فاعلية بتقديم نفس المعلومات من خلال وسائل لفظية فقط٠علي سبيل المثال تقديم الصور الفوتوغرافية عن الأماكن المحتمل زيارتها، أو الأشخاص الذين سوف يتم مقابلتهم، أو الأنشطة التي سيتم إتباعها يُعد أكثر فاعلية من استخدام الكلمات وحدها.

وفائدة الاستعانة بوسائل غير لفظية (كالصور مثلاً) تظهر في حالة ما استمر الطفل التوحُّدي في طلب التأكُّد من معني المعلومات المُقدمة له،كما أنَّ هذا الأسلوب يُعد فاعلاً، وذا قيمة في التعامُّل مع كُلّ طفل توحدي ذو كفاءة، وقدرات عقلية مرتفعة ومنخفضة، كما يُعد فاعلاً أيضاً في التعامُّل مع المواقف المُعقَّدة، أو المعنوية٠

(ج) تقليل الاهتمام بالحديث غير الملائم:

يُعد تكرار أطفال التوحُّد للحديث بصورةٍ مستمرةٍ أحد الأساليب التي يلجئون إليها لنيل اهتمام المُحيطين بهم، وفي مثل هذه الأحوال فإن عدم الاهتمام الزائد من جانب الأفراد العاديين بأطفال التوحُّد من شأنه أن يُقلل من هذا الأسلوب إذ يعمل عدم الاهتمام هذا إلي الانطفاء التدريجي لسلوك تكرار الحديث غير الملائم.

ثانيًا: تدريس المهارات البديلة:

هذا الأسلوب يُعد بمثابة إمداد أطفال التوحُّد بحصيلةٍ لُغويةٍ جديدةٍ تُضاف إلي ما لديهم من محصول لُغوي، كما تُساعدهم علي تعليم بعض السلوكيات، والمهارات الاجتماعيَّة الجديدة التي يمكن أن يؤدي تعلُّمها إلي خفض الاضطرابات السلوكيَّة، واللُّغوية الموجودة لدي هؤلاء الأطفال بدرجةٍ ما٠

ويعتمد أسلوب تدريس المهارات البديلة لهؤلاء الأطفال علي أسلوب لعب الأدوار الاجتماعيَّة من خلال إشراكهم في بعض الأنشطة مثل: لعب دور في مسرحية، أو الاشتراك في تجمُّعات ذات مهارات اجتماعيَّة مُعدة مسبقاً؛ من أجل أن تُساعد في تدريس مهارات حوارية ملائمة لهؤلاء الأطفال٠

ويؤكّد «هولين» Howlin في دراسته المنشورة العام ١٩٩٥ علي فاعلية إشراك الأطفال من ذوي التوحُّد في لعب الأدوار الاجتماعيَّة في تعلُّم المهارات البديلة بصورةٍ فاعلةٍ أكثر إذا ما قورن هذا الأسلوب بالتغذية المرتدة لهؤلاء الأفراد، سواء كانت تلك التغذية المرتدة من خلال وسائل سمعية،أو وسائل بصرية، إذ أن أسلوب لعب الأدوار الاجتماعيَّة لتعلُّم مهارات بديلة تُساعد علي تحسين أسلوب الحوار، وبعض السلوكيات المُحدَّدة في طريقة التحدُّث، مثل: نبرة الحديث، أو سرعة نطق الكلمات، مع ضرورة أن يكون هذا الأسلوب مشمول بالشرح الوافي، والتأكُّد من أنَّ هؤلاء الأطفال قد تعلَّموا جيداً متى، وكيف، وأين يستخدمون تلك المهارات المكتسبة حديثاً.

ثالثًا: تعديل التعبير عن المشاعر والتعامُل مع المفاهيم المعنوية:

يُشير «هوبسون» Hobson في دراسته العام ١٩٩٣، إلي وجود بعض العيوب، والاضطرابات لدي أطفال التوحُّد فيما يتعلَّق بالفهم والتعبير عن المشاعر، والانفعالات، فإذا لم يتم تقديم المساعدة لهؤلاء الأطفال لتطوير المهارات التي تتلاءم معهم؛ بغرض مساعدتهم في التعبير عن المشكلات البدنيَّة، والانفعاليَّة، وحالتهم النفسيَّة، في المراحل اللاحقة من الحياة،فإنَّه يمكن أن تظهر مشكلات مختلفة مرَّة ثانية.

والحل الأمثل كما يذكر «هادوين» Hadwin (١٩٩٦) يتمثَّل في البدء في التدريبات لهؤلاء الأفراد منذ الصّغر، إذ أنَّه أمكن إثبات جدوى تقديم بعض الجلسات التدريبية لأطفال التوحُّد الذين تتراوح أعمارهم بين (٤ و٩) أعوام، حيث أمكن تدريب هؤلاء الأطفال ليتعلَّموا كيف يستخدمون مفاهيم عقليَّة مرتبطة بمعتقدات الآخرين ومشاعرهم، أيضاً أمكن التوصل إلي أن التدريبات المختصرة كانت لها نتائج فاعلة.

رابعًا: تطوير مهارات الإنصات لأطفال التوحُّد من ذوي القدرات المنخفضة:

أفراد هذه الفئة لديهم اضطرابات مُتعدّدة تظهر في صورة انخفاض في مهارات الاتصال، ومشكلات في التعبير عن المشاعر، والانفعالات، والحالات النفسيَّة التي يمرون بها، ومن ثمَّ تظهر لديهم بعض السلوكيات المتحدية أثناء الاستثارة الانفعاليَّة، أو حالات الغضب مثل: إلقاء بعض الأشياء بعيداً، أو قذف ما يكون بأيديهم ٠وتُعد مثل هذه السلوكيات تعبيراً عن الرَّغبة في جذب انتباه المُحيطين بهم لأحداث، أو أفكار مُعيَّنة لا يستطيعون التعبير الصحيح عنها٠

ويُشير «أوليفر» Oliver (١٩٩٥)، إلي أنَّه لو تمَّ تعليم هؤلاء الأطفال من ذوي التوحُّد طرقاً بديلة لتوصيل نفس الرسالة، سواء عن طريق التحدُّث،أو من خلال مجموعة من الحركات الجسميَّة، أو بالإشارات، أو باللمس؛ فإن هذه الأساليب منفردة

أو مجتمعة، سوف تعمل علي زيادة الاتصال الملائم لهؤلاء الأطفال مع المُحيطين بهم.

كما يُشير «ديوراند» Durand (١٩٩٠)،و «كار» Carr (١٩٩١)،أن تعليم أطفال التوحُّد التعبير عن حاجاتهم للمساعدة عن طريق كلمات، أو عبارات، أو إشارات، أو صور بسيطة تُعبّر عن طلب المساعدة له آثار سريعة وفاعلة في تعديل سلوك هؤلاء الأطفال.

ويمكن الاستفادة ببعض الوسائل التي تُمكِّن هؤلاء الأطفال من التفاعُّل مع الآخرين بصورةٍ أفضل، وفي نفس الوقت تسمح لهم بالاتصال بشكلٍ مباشر مع البيئة المُحيطة بهم مثل: استخدام بعض القوائم التي تُعلَّق علي الحوائط، وبها صور توضح الجدول الزمني لكُلّ يوم، والأنشطة المتضمنة خلال هذا اليوم، وموعد بدايتها ونهايتها بشكلٍ مُبسط.

خامسًا: استخدام لغة الإشارة المُرافقة للكلام:

إنَّ تدريس الأطفال التوحُّديين باستخدام لغة الإشارة لا يُعد ممارسة شائعة اليوم مثلما كان في السنوات الماضية؛ وذلك بسبب التواصل عبر الكمبيوتر.ولكن الأبحاث العلمية تؤكّد أنَّ تعليم لُغة الإشارة مع التخاطب في نفس الوقت سيسرع من قدرة الشخص علي الكلام.

ويُفضَّل عند بداية البرنامج أن نبدأ باستخدام إشارات التعبير عن الاحتياجات الأساس،مثل: المأكل، والشرب، والحمام·بهذه الطريقة سيكون الطفل التوحُّدي علي أهبة الاستعداد لاستخدام الصور للتعبير عن احتياجاته.

سادسًا: استخدام بعض الطرق التعليميَّة لتنمية المهارات اللُّغوية:

(أ) طريقة «فاست فورورد» :

برنامج إلكتروني يعمل بالكمبيوتر، وهو يهدف إلي تحسين المستوي اللُّغوي للطفل المُصاب بالتوحُّد·وقد تمَّ تصميم هذا البرنامج بناءً علي البحوث العلميَّة التي قامت بها عالمة علاج اللُّغة «بولا طلال» علي مدي (٣٠) سنة تقريباً·وتقوم الفكرة علي وضع سماعات علي أذني الطفل، بينما هو يجلس أمام شاشة الكمبيوتر ويلعب ويستمتع للأصوات الصادرة من هذه الألعاب.

وهذا البرنامج يُركز علي جانب واحد هو جانب اللُّغة والاستمتاع والانتباه، وبالتالي يُفترض أن الطفل قادر علي الجلوس أمام الكمبيوتر دون وجود عوائق سلوكية.

ولم تجرى حتى الآن بحوث علمية مُحايدة لقياس مدي نجاح هذا البرنامج مع أطفال التوحُّد، وإن كانت هناك روايات شفهية تؤكِّد بأنَّه قد نجح في زيادة المهارات اللُّغوية بشكلٍ كبير لدي بعض أطفال التوحُّد·

(ب) طريقة « تيتش »:

وهـي طريقـة تعليميـة لا تتعامـل مـع جانـب واحـد كاللُّغـة أو السـلوك، بـل تُقـدّم تأهيـلاً يُلبـي احتياجـات كُلّ طفـل علـي حِدة٠فهـي مصمَّمـة بشـكلٍ فـردي، ولعـدد مُحـدَّد مـن الأطفـال في الصَّـف الواحـد (مـن ٥ إلـي٧ أطفـال)، يُخصَّـص لهـم مُعلّمـة، ومسـاعدة مُعلّمـة٠